الباب الثالث

بعثته ـ صلى الله عليه وسلم ـ
ومابعـــدها

* بدء الوحى.
* بعثته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجهره بالدعوة.
* أذى قومه له.. ودفاع القرآن عنه.. وتثبيت فؤاده.

obeikandl.com

عـــــن:

١ ـ أول مابُدئ به من أمر النبوة صلى الله عليه وسلم

يقـــول:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(١)

إن أول ما بدئ به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أمر النبوة، حين أراد الله ـ تبارك وتعالى ـ كرامته، ورحمة البشرية الضالة به.. عدة أمور:

الأول: الرؤيا الصادقة.. فكان ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لا يرى رؤيا فى نومه إلا جاءت كفلق الصبح.. أى: رأى تأويلها فى يقظته بكل الوضوح الذى رآها به فى نومه.

ثانيا: حبب الله ـ تعالى ـ إليه الخلوة، فلم يكن شئ

---

(١) سورة العلق من ١ : ٥.

أحبَّ إليه من أن يخلو وحده.. تارة فى بيته وأحيانا فى البيت الحرام.. وأحايين كثيرة فى غار حراء..!

ثالثا: ما يرويه ابن إسحق بقوله: حدثنى عبد الملك بن عبيد الله بن أبى سفيان بن العلاء بن جارية الثقفى، وكان واعيةً[1]، عن بعض أهل العلم.. أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين أراده الله بكرامته، وابتدأه بالنبوة، كان إذا خرج لحاجته أبعدَ حتى تحسر[2] عنه البيوت، ويُفضى إلى شعاب[3] مكة وبطون أوديتها.. فلا يمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحجر.. ولا شجر.. إلا قال: السلام عليك يارسول الله..!

قال: فيلتفت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حوله وعن يمينه وعن شماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة.. فمكث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كذلك يرى ويسمع، ما شاء الله أن يمكث، ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله وهو بحراء فى شهر رمضان.

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجاور[4] ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين...!

---

(١) حافظا.

(٢) تبعد عنه.

(٣) المواضع الخفية بين الجبال.

(٤) يعتكف للتفكر والعبادة.

* كيف نبئ.. صلى الله عليه وسلم..؟؟

كان محمد.. نبى هذه الأمة المنتظر ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن يبعث، بتوفيق من الله ـ سبحانه وتعالى ـ وإلهام منه. إذا أقبل شهر رمضان.. يترك مكة وما فيها من ظلم وضلال.. وجور وفساد.. ويذهب بعيدا عن أهلها وكفرهم وشركهم.. يذهب بعيدا لينشد النور.. ويبحث عن الحقيقة..!

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدخل غار حراء.. فى قمة جبل النور على يسار المتجه إلى منى.. ويختلى فيه الليالى الطوال.. فيجد فى وحشته أنسا.. وفى ظلامه نورا.. وفى ضيقه سعة ورحابة.. ومن بين أرجاء هذا الغار.. يقلب بصره فى ملكوت السموات والأرض.. ويعمل عقله وفكره متدبرا فى آيات هذا الوجود.. فيرى ببصيرته أسرار وآثار قدرة موجد هذا الوجود..!!

وبينما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى خلوته تلك.. وقد انصرم من شهر رمضان المبارك سنة أربعين من عام الفيل جُلُّه.. إذ به يرى كأن سقف الغار قد رفع.. ونزل ملكٌ كريم من السماء.. يحمل كتابا كريما.. ملفوفا فى ديباجة خضراء من حرير الجنة..!

لقد جاءه الملك ـ إذن ـ بالنور الذى يبتغيه.. والحقيقة التى ينشدها.. والخير الذى يحرص عليه ويطلبه.. والهداية التى طالما بحث ونقب عنها..!!

ويتقدم الملك منه ـ صلى الله وعليه وسلم ـ ويغته[1] بنمط من الديباج حتى يظن النبى المنتظر أنه الموت.. ثم يرسله.. ويقول له: اقرأ يامحمد.. ويتعجب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما حدث له، ويقول معتذرا: «ما أنا بقارئ». أو مستفهما: ماأقرأ..؟!، ويفعل به الملك مثلما فعل مرة ثانية وثالثة[2]، ثم يقول له:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[3].

وتنقش هذه الآيات الكريمة بيد القدرة الإلهية، على قلب محمد الأمى.. الذى لم يجلس يوما إلى معلم ويتعلم منه حرفا واحدا.. ولم يقبض مرة على قلم ويخط به خطا واحدا..!

وكانت هذه الآيات الكريمة.. أول تيارات الوحى.. التى نبأ الله ـ تعالى ـ بها يتيم مكة.. محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمى القرشى العربى.. مصطفاه من خلقه..

---

(١) يعصره عصرا شديدا

(٢) سيرة ابن كثير وابن هشام.

(٣) سورة الفلق من ١ : ٥.

وخيرته من عباده.. وهديته إلى البشرية جمعاء.. صلوات الله وسلامه عليه.

وبعد حين من الوقت.. بعد أن هدأ محمد بعض الشئ.. خرج من الغار.. ويالله العجب..!! .. لقد دخل الغار بشرا حائرا.. ينشد النور.. ويبحث عن الحقيقة.. وهاهو ذا يخرج من غاره نبيا مرسلا.. حُمل الأمانة الكبرى.. ونيطت به الدعوة العظمى..!! ويحدثنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن خرج من الغار، فيقول: «خرجت من الغار.. حتى إذا كنت فى وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء.. يقول: يا محمد.. أنت رسول الله وأنا جبريل..! فوقفت. فرفعت رأسى إلى السماء أنظر. فإذا جبريل فى صورة رجل صافّ قدميه فى أفق السماء، يقول: يامحمد.. أنت رسوّل الله، وأنا جبريل..!، فوقفت أنظر إليه، فما أتقدم وما أتأخر، وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء، فلا أنظر فى ناحية فيها إلا رأيته كذلك، فما زلت واقفا ما أتقدم أمامى، وما أرجع ورائى، حتى بعثت خديجة رسلها فى طلبى، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها، وأنا واقف فى مكانى ذلك.. ثم انصرف عنى، وانصرفت راجعا إلى أهلى حتى أتيت خديجة، فقالت: يا أبا القاسم أين كنت..؟ فو الله لقد بعثت رسلى فى طلبك حتى بلغوا أعلى مكة ورجعوا إلىَّ..؟!

يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «فحدثتها بالذى رأيت، فقالت: أبشر يا ابن عم، واثبت، فوالذى نفس خديجة بيده.. إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة»(١).

يروى البخارى بسند ينتهى إلى أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.. ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو فى غار حراء فيتحنث(٢) فيه الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق، وهو فى غار حراء، فجاءه الملك، فقال: اقرأ..! قال: ما أنا بقارئ..! قال: فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى، فقال: اقرأ.. فقلت: ما أنا بقارئ..! فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلنى، فقال: اقرأ.. فقلت: ما أنا بقارئ..! فأخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى، فقال:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾.

---

(١) ابن إسحق، والبخارى عن جابربن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ بتصرف.

(٢) يتعبد.

(٣) سورة العلق: ١ ـ ٥.

فرجع بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها ـ فقال: زملونى[1].. زملونى.. فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة، وأخبرها الخبر، ثم قال: لقد خشيت على نفسى..!، فقالت خديجة: كلا.. والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ[2] وتكسب المعدوم[3]، وتقرى[4] الضيف، وتعين على نوائب الحق.

ثم قامت فجمعت عليها ثيابها، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى، وهو ابن عمها، وكان ورقة قد تنصر، وقرأ الكتب، وسمع من أهل التوراة والإنجيل.. فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه رأى وسمع، فقال ورقة بن نوفل: قدُّوس قدُّوس.. والذى نفس ورقة بيده، لئن كنت صدقتينى ياخديجة.. فقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى، وإنه لنبى هذه الأمة.. فقولى له فليثبت..!

فرجعت خديجة إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) غطونى.. غطونى.

(٢) الكَلُّ: الفقير ذو العيال، أو اليتيم.

(٣) الفقير.

(٤) تقدم له ما يسد حاجته.

فأخبرته.. فلما قضى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جواره، وانصرف، صنع كما كان يصنع: بدأ بالكعبة فطاف بها، فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة، فقال: ياابن أخى.. أخبرنى بما رأيت وسمعت..؟ فأخبره رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له ورقة: والذى نفسى بيده إنك لنبى هذه الأمة.. ولقد جاءك الناموس[1] الأكبر الذى جاء موسى، ولَتُكَذَّبَنَّه، ولتُؤْذينَّه، ولتُخرجَنَّه، ولتُقاتلنَّه[2]، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه، ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه ـ أى: وسط رأسه ـ ثم انصرف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى منزله[3].. !!»

كيف كان يتنزل القرآن على رسول الله..!؟

كان لنزول الوحى على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقع شديد على جسده الشريف، حتى إن العرق ليقطر من جبينه فى اليوم الشديد البرد.. وتصف أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ حالته ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

(١) أصل الناموس: هو صاحب السر فى الخير والشر، فعبر عن جبريل بذلك.

(٢) هذه الأفعال الأربعة مبنية للمجول.

(٣) ابن إسحق ـ والبخارى.

وقت نزول الوحى عليه، فتقول: «لقد رأيته ينزل عليه فى اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصَّدُ عرقا»(١).

وكان لنزول الوحى على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ طريقتان:

١ ـ أن يأتيه مثل صلصلة الجرس، فيفصم عنه، وقد وعى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما قال.

٢ ـ أن يتمثل له الملك رجلا فيكلمه فيعى ما يقول، يروى البخارى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن الحارث بن هشام ـ رضى الله عنه ـ سأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: يارسول الله.. كيف يأتيك الوحى..؟!، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **«أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علىّ، فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول»**.

---

(١) رواه البخارى.

وعـــــن:

٢ ـ بعثته وإرساله.. صلى الله عليه وسلم

يقـــول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴾(١)

جمهور العلماء والمفسرين على أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبئ بـ ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ أى أنها كانت أول مانزلت عليه.. وصار بها نبيا.. ثم فتر الوحى بعض الوقت، فحزن لذلك رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حزنا شديدا، وشق ذلك عليه، وتألم له، وكان من شدة شوقه إلى الوحى يخرج هائما على وجهه فى الجبال..

---

(١) سورة المدثر من ١ـ ٧.

وحتى هان عليه أن يتردى من جبل. . فرأى جبريل على سرير بين السماء والأرض كالنور المتلألئ، ففزع ووقع مغشيا عليه، فلما أفاق دخل على خديجة ودعا بماء فصبه عليه، وقال: دثرونى. . دثرونى. . فدثروه[1] بقطيفة. . فجاءه جبريل بهذه الآيات من أول سورة المدثر[2].

روى الإمام مسلم فى صحيحه بسند ينتهى إلى جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحدث عن فترة الوحى، فقال فى حديثه: فبينا أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصرى قبل السماء، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء والأرض، فجئثت[3] منه حتى هويت إلى الأرض، فجئت إلى أهلى، فقلت: زملونى[4]. . زملونى، فزملونى، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ إلى ﴿ فَٱهْجُرْ ﴾.

يقول الإمام القرطبى: وقيل: بلغه من المشركين سوء قول فيه، فاشتد عليه فتزمل فى ثيابه وتدثر، فنزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ و ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾، وقيل: كان هذا فى ابتداء ما

(١) غطونى. . فغطوه بقطيفة.
(٢) الشوكانى فى فتح القدير.
(٣) فزعت.
(٤) زملونى: غطونى.

أوحى إليه، فإنه لما سمع قول الملك، ونظر إليه أخذته الرعدة، فأتى أهله، فقال: «زملونى دثرونى»، ثم قال: روى معناه عن ابن عباس.

ويقول ابن القيم: أول ما أوحى إليه ربه: أن يقرأ باسم ربه الذى خلق، وذلك أول نبوته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأمره أن يقرأ فى نفسه، ولم يأمره بالتبليغ، ثم أنزل الله عليه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ فنبأه «باقرأ»، وأرسله «بيا أيها المدثر»، ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين ثم قومه، فالعرب، فالناس أجمعين.

ونستطيع أن نخرج من هذه الآراء كلها بما يأتى:

أولا: نبئ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «باقرأ».. أى: صار نبيا بنزول هذه الآيات الكريمة من أول سورة العلق عليه.. يؤمر بتبليغ شئ إلى الناس، سواء الأقربون منه أوالأبعدون عنه.. إنما أمر بأن يقرأ فى حد ذاته من غير تبليغ إلى الغير.

ثانيا: ولأن الرسالة عبء ثقيل دونه ثقل الجبال الشم، ومواجهة قوم ألفت نفوسهم وقلوبهم عبادة أصنام متعددة متنوعة، قرونا طويلة، بدعوة التوحيد.. أمر من الصعوبة بمكان.. ولأن كلا الأمرين أشد وطئا على الجسم والنفس

معا.. اقتضى ذلك كله أن يُعد النبى لتحمل أعباء الرسالة، ومواجهة قومه بدعوته إعدادا نفسيا.. وتمثل هذا الإعداد فى أول الأمر بقيام الليل إلا قليلا وبترتيل ما ينزل عليه من تيارات ذلك الوحى بتفكر وتدبر وإمعان، فنزل عليه قوله ـ تعالى ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾(١).

ثالثا: أمر بتبليغ رسالته إلى قومه.. فنزل عليه قول الحق ـ عز وجل ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾.. فأُرسل بهذه الآيات الشريفة من أول سورة المدثر.

رابعا: لقد كان لأولى تيارات الوحى، ورؤية الملك أول الأمر وقع شديد على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لهذا نراه يذهب إلى أهله فزعا، مضطربا، خائفا، يرتعد جسمه وكأنه أصيب بحمّى شديدة.. ويطلب من أهله أن يزملوه.. ويدثروه.. وينزل الملك، ويخاطبه بقول الحق ـ سبحانه وتعالى:ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾.. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾

---

(١) سورة المزمل من ١ : ٦.

. . وفى هذا الخطاب ملاطفة من الله ـ سبحانه وتعالى ـ لحبيبه ونبيه ومصطفاه من خلقه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ ناداه بحاله، وعبَّر عنه بصفته، ولم يقل: يامحمد مثلا، ليستشعر اللين والملاطفة من ربه عز وجل. . !

وقد كان من عادة العرب إذا أرادوا ملاطفة شخص نادوه بحالته، وبصفته التى هو عليها، كقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعلى حينما خرج مغاضبا لفاطمة ونام فى المسجد على التراب فأصاب التراب ثيابه وجسمه: «**قم يا أبا تراب**». . وقوله أيضا لحذيفة ليلة الخندق: «**قم يانومان**».

فرب العالمين ـ سبحانه ـ يلاطف حبيبه محمدا بهذا النداء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ . . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾. . فلما أنس بجبريل. . وتعود على تلقى الوحى كان النداء بالنبوة والرسالة. . !

يقول **الأخفش**: «المزمل» أصله: المتزمل فأدغمت التاء فى الزاى، وكذلك «المدثر» أصله: المتدثر، فأدغمت التاء فى الدال تخفيفا. . ا هـ.

وأبى بن كعب يقرأ على الأصل فى الكلمتين: «يا أيها المتزمل». . «يا أيها المتدثر».

والكلمتان الشريفتان بمعنى واحد، يقال: تزمَّل وتدثَّر بثوبه

إذا تغطى، وزمَّل غيرَه إذا غطاه، وكل شئ لُفِّف فقد زُمِّل ودُثِّر(١).

ومعنى الآيات من سورة المدثر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾: ياأيها الذى قد تدثر بثيابه، أى: تغشى بها. ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾: انهض فخوف أهل مكة وحذرهم العذاب إن لم يسلموا. ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ أى: واختص سيدك ومالكك ومصلح أمورك بالتكبير، وهو وصفه ـ سبحانه وتعالى ـ بالكبرياء والعظمة، وأنه أكبر من أن يكون له شريك. ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ أمره الله ـ تعالى ـ بتطهير ثيابه وحفظها عن النجاسات، وقال قتادة: نفسك فطهرها من الذنب. ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ أى: اترك الأصنام والأوثان فلا تعبدها؛ لأنها لاتستحق العبادة، وعبادتها سبب العذاب والهلاك. ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ لا تمنن على ربك بما تتحمله من أعباء النبوة، وقيل: إذا أعطيت أحدا عطية فأعطها لوجه الله ولا تمن بعطيتك على الناس. ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴾. أى: لقد حملت أمرا عظيما.. ستحاربك العرب عليه والعجم.. فاصبر عليه، وابتغ بصبرك وجه الله تعالى(٢).

---

(١) تفسير القرطبى.

(٢) فتح القدير للشوكانى بتصرف.

هذا.. ومما تجدر الإشارة إليه: أن المزمل والمدثر ليسا من أسمائه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يعرف بهما، خلافا لما ذهب إليه البعض، وعدهما من أسمائه الشريفة[1].

(١) الروض الأنف للسهيلي.

obeikandl.com

وعـــن:

٣ ـ عظيم مكانته ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند ربه ـ عز وجل ـ

يقـــول:

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾(١)

فتر الوحى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبطأ عليه الملك أياما، فجزع لذلك جزعا عظيما، وحزن من أجله حزنا شديدا، ووصل نبأ إبطاء الوحى وتأخره إلى المشركين، لاسيما الأقربون منهم له، فقالوا: ما نرى إلا أن رب محمد قد قلاه.. فأنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ هذه الآيات من سورة الضحى..

---

(١) سورة الضحى من ١ : ٥.

والآيات الشريفة تكشف فى جلاء ووضوح عن مكانة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند رب العزة ـ تبارك وتعالى ـ تلك المكانة التى لا تدانيها مكانة أحد من الخلق.. ثم تزف إليه بشرى أُثلج لها صدره، وانشرح بها فؤاده، وفرح لها قلبه..!

لقد أقسم ـ سبحانه وتعالى ـ بالضحى، وهو شباب النهار، إذ فيه تعلو الشمس فى كبد السماء وترتفع، فيشتد ضوءها، ويعظم نورها، فتنير الأفق، وتكسو وجه الأرض بغلالة من النور والضياء.. وكذلك الإسلام الذى جاء به إمام الأنبياء وخاتم المرسلين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالنسبة للحياة، فتعاليمه تعلو فى سماء الفضيلة، وترتفع فى أفق الهداية، فتنشر على العالم بأسره الخير.. والعدل.. والرحمة، وتنير أفق الحياة بما تحمل من نور العلم والمعرفة.

ثم يقسم ـ سبحانه وتعالى ـ «بالليل إذا سجى» أى: سكن بخلود الناس فيه إلى الراحة، والنوم، والهدوء.. فتقل الحركة فيه إلى أبعد حد، وربما تنعدم فى بعض أجزائه.. فيبدو الكون هادئا، ساكنا.. وكما أن شمس الضحى يماثلها نور الإسلام ومافيه من علم ومعرفة.. فإن ظلام الليل يماثله ظلمة الكفر والشرك، وما فيه من عمى وجهالة وضلالة..!

والضحى والليل ظاهرتان كونيتان.. تدلان دلالة واضحة

على عظيم قدرة خالق هذا الكون ومصرف شأنه، ومدبر أمره.. وإتيانهما هكذا بانتظام لم يختل مرة واحدة منذ أن كانت الدنيا وإلى يوم الناس هذا فيه دلالة جلية على وحدانية ووجود هذا الخالق العظيم سبحانه وتعالى..!

علام يقسم - سبحانه وتعالى - بهاتين الظاهرتين الكونيتين..؟ يقسم على مضمون قوله - عز وجل - ﴿ مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَلَىٰ ﴾..![1]

وكلمة «ودعك» تقرأ بتشديد الدال مع الفتح، ومعناها على هذه القراءة - والله تعالى أعلم بمراده - ما قطعك ربك يامحمد قطع مودِّع لك.. وتقرأ بتخفيفها، والمعنى: ما تركك يا محمد ﴿ رَبُّكَ وَمَاقَلَىٰ ﴾ وما أبغضك منذ أحبك..!!

* وبشرى تثلج صدره - صلى الله عليه وسلم :

بعد أن كشف - سبحانه وتعالى - عن مكانته - صلى الله عليه وسلم - العظيمة عنده.. زف إليه بشرى أثلجت صدره، وانشرح لها فؤاده، واطمأن قلبه.. إذ قال - سبحانه وتعالى - مخاطبا إياه:

﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾[2].

(١) سورة الضحى: ٣
(٢) سورة الضحى: ٤, ٥

يقول ابن إسحق: أى: ما عندى فى مرجعك إلىَّ يامحمد.. خير لك مما عجلت لك من الكرامة فى الدنيا.

ويروى القرطبى حديثا عن على، أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «**يشفعنى الله فى أمتى حتى يقول ـ سبحانه ـ لى: رضيت يا محمد..؟؟ فأقول: يارب رضيت..!**» ثم يقول: وفى الحديث.. لما نزلت هذه الآية: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**إذا والله لا أرضى وواحد من أمتى فى النار..!**»

يروى مسلم بسند ينتهى إلى عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ تلا قول الله ـ عز وجل ـ فى إبراهيم:

﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١)

وقول عيسى ـ عليه السلام ـ:

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٢)

---

(١) سورة إبراهيم: ٣٦

(٢) سورة المائدة: ١١٨.

فرفع يديه وقال: «**اللهم أمتى أمتى**» وبكى، **فقال الله - عز وجل -: «ياجبريل.. اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله مايبكيك..؟؟»، فأتاه جبريل - عليه الصلاة والسلام - فسأله، فأخبره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما قال - وهو سبحانه أعلم - فقال الله: «ياجبريل.. اذهب إلى محمد، فقل: إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك..!»**.

إن الله - تبارك وتعالى - يبشر حبيبه محمدا.. بأن آخر أمره سيكون أحسن وأفضل من أوله، إذ سيقوى ساعده، وتظهر دعوته، وينصره - سبحانه - على أعدائه... وبأنه سيعطيه فى الدار الآخرة من الشفاعة حتى يرضيه فى أمته، ومما أعده له من الكرامة، والمقام المحمود حتى يرضيه فى نفسه..!

لهذا.. كان - صلى الله عليه وسلم - أزهد الناس فى الدنيا.. يروى الإمام أحمد عن ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه قال: اضطجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على حصير فأثر فى جنبه، فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه، وقلت: يارسول الله.. ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئا؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «**مالى وللدنيا! إنما مثلى ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها..!**»

وعـــن:

٤ ـ الجهر بدعوته ـ صلى الله عليه وسلم :

يقـــول:

أ ـ ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾(١)

ب ـ ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾(٢)

من يوم أن نزل عليه قوله ـ تعالى ـ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴾(٣) وهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو سرا إلى عبادة الله ـ تعالى ـ وحده، وترك عبادة ما سواه من أصنام وأوثان، وظل كذلك ثلاث سنوات. . . انتشر الدين الحنيف فى أثنائها بين أصدقائه، ومحبيه، وأهله الأقربين.

---

(١) سورة الحجر: ٩٤.

(٢) سورة الشعراء من ٢١٤ ـ ٢١٦.

(٣) سورة المدثر: ١، ٢

فأسلمت زوجه خديجة، ثم على بن أبى طالب ابن عمه، ثم خادمه ومولاه زيد بن حارثة، وكان ـ رضى الله عنه ـ أول ذكر أسلم وصلى بعد على بن أبى طالب.. ثم صاحبه وصديقه أبو بكر بن أبى قحافة ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين..

وهؤلاء هم سابقو السابقين إلى الإسلام.. وكما ترى: زوجه.. وابن عمه.. ومولاه.. وصديقه الحميم.. وعندى: أن إسلام هؤلاء الأربعة أوضح دليل على صدق دعواه ـ صلوات الله وسلامه عليه.. لماذا..؟ لأن المرء يستطيع أن يقنع من هو بعيد عنه بسجية ما حينما يتظاهر ببعض مظاهرها أمامه.. أما المخالطون له، المحيطون به، الذين يعاشرونه معاشرة دائمة، فإنهم لن يقتنعوا من المرء إلا بما كان من سجاياه الحقيقية التى طبع عليها، وصارت كغريزة من غرائزه، وصفة متأصلة فيه.

وهؤلاء الأربعة.. كانوا أشد الناس خلطة به، وأكثرهم معرفة بأحواله ظاهرها وباطنها، وأوثقهم من سجاياه وأخلاقه وسلوكياته.. وبما أنهم كانوا أول المصدقين بدعوته.. وأعظم المتحمسين لها.. والحريصين على انتشارها.. فهذا وحده أصدق برهان، وأوضح آية على صدق محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصدق دعوته..!!

لقد بلغ من ثقة أبى بكر فى صاحبه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعظيم معرفته به، أنه ـ رضوان الله عليه ـ قبل دعوته وآمن به بمجرد عرضها عليه، فلم يحاول أو يراوغ.. كلا.. كلا..! وإنما قبل الإيمان به وبدعوته فور معرفته بذلك، فرحا بما سمع، وكأنه ـ رضى الله عنه ـ بل كأن هؤلاء الأربعة جميعهم كانوا ينتظرون ذلك منه، ويرشحونه فى قرارة نفوسهم لهذا الدور العظيم، لما يرونه من جميل فعاله، وعظيم أخلاقه، وحميد سجاياه ـ صلوات الله وسلامه عليه..!

يروى ابن إسحق فى سيرته، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: **«مادعوت أحدا إلي الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة[1] ونظر وتردد، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة، ما عكم[2] عنه حين ذكرته له وما تردد فيه»**

لقد بلغ من قناعة أبى بكر بصدق رسول الله وصدق دعوته أنه راح يدعو هو بنفسه الناس إلى الإسلام، وكان ـ كما يقول ابن إسحق: رجلا محبَّبًا لقومه سهلا، ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لعلمه، وتجارته

(١) أى: تردد، وقلة إجابة
(٢) ماعدل عنه.

وحسن مجالسته.. فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام مَن وَثق به من قومه، ممن يغشاه ويجلس إليه، فأسلم بدعائه[1]: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، وطلحة بن عبيد الله.. فجاء بهم إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين استجابوا له ـ فأسلموا وصلوا[2].. وهؤلاء النفر هم سابقو السابقين إلى الإسلام، وكلهم من المبشرين بالجنة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ..!

ثم راح الإسلام ينتشر بين أهل مكة، وفشا فى أهلها من رجال ونساء وعبيد وإماء، حتى فشا ذكره بها.. ودخله فى خلال هذه السنوات الثلاث ما يقرب من الثمانين رجلا وامرأة وعبدا وأمة..!

وأصبحت مكة مهيأة تماما لسماع دعوة التوحيد، وإعلان دين الله.. الإسلام..! فأنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ أمره الحكيم: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[3].. واستجاب إمام الأنبياء وخاتم المرسلين لأمر ربه ـ سبحانه ـ

(١) أى: بدعوته.

(٢) سيرة ابن إسحق.

(٣) سورة الحجر: ٩٤

فجهر بدعوته على جبل الصفا، وأسمع كلمة التوحيد كل إنسان بها يومئذ.. ثم أنزل الله عليه قوله ـ تعالى:

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١)

.. فجمع أهله وأقاربه وأنذرهم جميعا عذاب الله ـ عز وجل ـ ..

روى الشيخان: البخارى ومسلم بسند ينتهى إلى ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال: لما أنزل الله ـ عز وجل ـ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ أتى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصفا، فصعد عليه، ثم نادى «ياصباحاه»، فاجتمع الناس إليه بين رجل يجئ إليه وبين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**يابني عبد المطلب، يابني فهر، يابني لؤي.. أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني..؟؟**» قالوا: نعم، قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»، فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم.. أما دعوتنا إلا لهذا..؟! فأنزل الله: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾.

---

(١) سورة الشعراء: ٢١٤، ٢١٥.

وروى مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ دعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قريشا فاجتمعوا له، فعمَّ وخصَّ، فقال: «**يابني كعب بن لؤي.. أنقذوا أنفسكم من النار، يابني مرة بن كعب.. أنقذوا أنفسكم من النار، يابني عبد شمس.. أنقذوا أنفسكم من النار، يابني عبد مناف.. أنقذوا أنفسكم من النار، يابني هاشم.. أنقذوا أنفسكم من النار، يابني عبد المطلب.. أنقذوا أنفسكم من النار، يافاطمة.. أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئا، غير أن لكم رحما سأبُلُّها بِبِلاَلِها**[1]»

ومن يوم أن أعلن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعوته، ناصبته قريش العداء.. وكما رأينا فى حديث الشيخين كان عمه أبو لهب أول المتطاولين عليه، المسيئين إليه.. وتجرأ غيره على أن يمد يده الآثمة بالسوء والأذى إلى رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وكان القرآن الكريم ينزل ليدافع عنه، ويشد من أزره..!

وإليك نماذج من أذى القوم واضطهادهم لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن آمن معه، ودفاع القرآن الكريم.. وتثبيته لفؤاده وللمؤمنين..!

---

(١) أى: أصلكم فى الدنيا ولا أغنى عنكم من الله شيئا.

صور من أذي المشركين وتطاولهم عليه.. ودفاع القرآن عنه صلي الله عليه وسلم

قام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدعو إلى عبادة ربه ـ سبحانه وتعالى ـ وترك عبادة ما سواه، وبدأ بدعوته سرا، واستمرت دعوته السرية تلك قرابة ثلاث سنوات، أمر بعدها بالجهر بدعوته، حيث نزل عليه قوله ـ تعالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1] فأعلن ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعوته..!

وقابلت قريش دعوة التوحيد بالصد عنها، وبالعنت والاضطهاد، وحاولت جاهدة أن تثنى رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ عن دعوته.. تارة بالترغيب والإغراء بالمال والسلطان.. وتارة أخرى بالترهيب والتعذيب.. وراحت تصب جام غضبها على أتباعه والمؤمنين به رجاء أن تفتنهم عن دينهم، وتبعدهم عن نبيهم، لكنها لم تفلح فى شئ من ذلك، فطاش عقلها، وتملكتها شهوة الانتقام.. فأعلنتها على الرسول وأتباعه حربا شعواء لا هوادة فيها.

(١) سورة الحجر: ٩٤.

وبالرغم من هذا كله ظل ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يحاول طوال ثلاثة عشر عاما غرس شجرة الإيمان فى قلوب المكيين، وفى قلوب من جاورهم من أهل الطائف.. لكن قلوبهم كانت أقفر من صحراء مكة نفسها، وأشد قسوة من لهيبها..!!

لقد كان للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحظ الأوفر من الاضطهاد والعنت والظلم.. كيف..لا..؟ وهو الداعية إلى الله ـ سبحانه ـ وإلى دينه الجديد..؟!

وكان لهذا الاضطهاد وقع شديد وأليم على نفسية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لولا أن الله ـ عز وجل ـ كان يثبت فؤاده ويشد من أزره.. بوحيه وكلماته.. لخارت قوته.. وضعفت عزيمته.

لقد كانت الإهانات تتوالى.. والتطاول عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يزداد يوما بعد يوم.. وألوان الاضطهاد الجسمانى والنفسى يأخذ صورا وألوانا شتى.. وكانت دائما ـ آيات القرآن الكريم تتنزل لتؤاسي جراحه.. وتمسح عبراته.. وتسرى عنه.. وتهدئ من ثورات نفسه.. وتثبت فؤاده.. وتقوى من عزيمته.. وتشد من أزره.. لهذا.. كان.. صلوات الله وسلامه عليه ـ أثبت أمام الخطوب والأهوال من جبل أشم..!!.. وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[1].

١ ـ ترغيب وترهيب..!! ثم تهكم ووعيد..!!

يروى ابن جرير بسند ينتهى إلى ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن عتبة وشيبة ابنى ربيعة، وأبا سفيان بن حرب، ورجلا من بنى عبد الدار، وأبا البختري أخا بني أسد، والأسود بن المطلب بن أسد، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبا جهل بن هشام، وعبد الله بن على بن أمية، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل، ونبيها ومنبها ابني الحجاج السهميين.. اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه: أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك.. فجاءهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سريعا، وهو يظن أنه قد بدا لهم فى أمره بداء،

(١) سورة الفرقان، من ٣١ : ٣٣.

وكان عليهم حريصا يحب رشدهم، ويعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم..!

فقالوا: يامحمد.. إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك.. وإنا ـ والله ـ ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك.. لقد شتمت الآباء.. وعبت الدين.. وسفهت الأحلام.. وشتمت الآلهة.. وفرقت الجماعة.. فما بقى من قبيح إلا وجئته فيما بيننا وبينك..!!.. فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا.. جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا.. وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سوَّدناك علينا.. وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا.. وإن كان هذا الذى يأتيك بما يأتيك رئيا[1] تراه قد غلب عليك، فربما كان ذلك، بذلنا أموالنا فى طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك..؟؟

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «**مابي ماتقولون، ماجئتكم بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولا، وأنزل عليّ كتابا، وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ماجئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتي يحكم الله بيني وبينكم..!!**»

(١) أى: تابعا من الجن.

فقالوا: يامحمد.. فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك، فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق منا بلادا، ولا أقل مالا، ولا أشد عيشا منا، فاسأل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليفجر فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول: حق هو أم باطل..؟؟، فإن صنعت ما سألناك وصدقوك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله، وأنه بعثك رسولا كما تقول..؟؟

فقال لهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **«ما بهذا بعثت.. إنما جئتكم من عند الله بما بعثني، فقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله حتي يحكم الله بيني وبينكم..!!»**

قالوا: فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك.. فسل ربك أن يبعث ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك.. وتسأله فيجعل لك جنات وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة ويغنيك بها عما نراك تبتغى.. فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولا كما تزعم..؟؟

فقال لهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**ما أنا بفاعل.. ما أنا بالذي يسأل ربه هذا، وما بعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا، فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي ّ أصبر لأمر الله حتي يحكم الله بيني وبينكم..!!**»

قالوا: فأسقط السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ذلك.. فإنا لن نؤمن لك إلا أن تفعل..؟؟

فقال لهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: « **ذلك إلي الله إن شاء فعل بكم ذلك..!!**»

فقالوا: يامحمد أما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب، فيقدم إليك ويعلمك ما تراجعنا به..؟ ويخبرك بما هو صانع فى ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به..؟ فقد بلغنا أنه إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له: الرحمن، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا.. فقد أعذرنا إليك يامحمد.. أما والله لانتركك وما فعلت بنا حتى نهلك أو تهلكنا..!.. وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة وهى بنات الله.. وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتى بالله والملائكة قبيلا..!

فلما قالوا ذلك قام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنهم، وقام معه عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة، وهو ابن عمته عاتكة ابنة عبد المطلب، فقال: يامحمد: عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل، ثم سألوك أن تعجل لهم ما تخوفهم به من العذاب.. فوالله لا أومن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتى معك بصحيفة منشورة، ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول.. وايم الله لو فعلت ذلك لظننت أنى لا أصدقك..!

ثم انصرف عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانصرف رسول الله إلى أهله حزينا أسفا لما فاته مما كان طمع فيه من قومه حين دعوه، ولما رأى من مباعدتهم إياه.. فأنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ قوله الحكيم:

﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ

سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[1] ؟!

٢ ـ سخرية واستهزاء..!

أمعن المشركون فى التكذيب والضلال، والتطاول على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بألسنتهم القذرة، وراحوا كلما رأوه هنا أو هناك يسخرون منه ويهزأون به، ويقولون فيما يقولون: ألم تجد السماء سوى هذا اليتيم لتبعثه رسولا..؟؟ لقد كاد أن يفتننا عن آلهة الآباء والأجداد، ويجرنا إلي الإيمان به وبربه، لكننا لم نستجب له، ولم نسمع لقوله.

وسجل رب العالمين ـ عز وجل ـ هذا اللون من الاستهزاء بإمام أنبيائه وخاتم مرسليه فى محكم كتابه.. وبين ـ سبحانه ـ أنهم كالأنعام المعدومة الفهم، المسلوبة العقل، الفاقدة الإدراك والتمييز..؟

بل ويذهب القرآن فى الدفاع عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتسرية عنه إلى أبعد من هذا.. حيث يقرر بعد وعيد هؤلاء وتهديدهم بالعذاب الشديد.. أن البهائم أحسن منهم حالا، إذ أن البهائم تعرف ربها، وتهتدى إلى

(١) سورة الإسراء من ٩٠: ٩٣.

مراعيها، وتنقاد لأربابها.. وهؤلاء لاينقادون للهدى، ولا يعرفون خالقهم ورازقهم سبحانه.. قال ـ سبحانه ـ:

﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾(١).. !!

***

٣ ـ إساءة من العم وزوجه.. ووعيد من الرب سبحانه وتعالى:

من يوم أن أعلن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعوته المباركة، وصدع بها على جبل الصفا.. وعمه أبو لهب له بالمرصاد.. ففى هذا اليوم، قال قولته الفاجرة: تبا لك سائر هذا اليوم.. ألهذا جمعتنا..؟!، ثم راح بعدها يتعقبه فى كل مكان، فإذا ما دخل ـ صلى الله عليه وسلم ـ بيتا أو ناديا، أو عرض على أحد ما جاء به، دلف خلفه هذا

(١) سورة الفرقان، من ٤١: ٤٤.

العم ليصد الناس عن دين الله، ويصرفهم عن دعوة التوحيد..!

وكانت زوجه أم جميل لا تقل عنه عداوة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبغضا لدعوته السمحة.. وكانت ـ عليها لعنة الله ـ أشد الناس أذى له ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلسانها القذر، ويدها الآثمة فكانت تحمل الشوك، والقاذورات، و طرح ذلك كله على طريقه حيث يمر فى ذهابه وإيابه.. فأنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ قوله الكريم:

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾(١).

***

٤ ـ عبرة وندم.. بعد فوات الأوان..!

يروى السهيلى(٢): أن عقبة بن أبى معيط صنع وليمة فدعا إليها قريشا، ودعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأبى أن يأتيه إلا أن يسلم.. وكره عقبة أن يتأخر عن طعامه من أشراف قريش أحد، فأسلم ونطق بالشهادتين.. فأتاه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأكل من طعامه.

(١) سورة المسد
(٢) الروض الأنف للسهيلى.

وعلم صديقه وصفيه وخليله أمية بن خلف بن وهب بن حذافة الجمحى، فغضب لذلك غضبا شديدا، وعاتب صفيه وخليله عقبة بن أبى معيط، فقال عقبة: رأيت عظيما أن يحضر طعامى رجل من أشراف قريش، فقال له خليله أمية: وجهى من وجهك حرام حتى تأتى محمدا وتبصق فى وجهه، وتطأ عنقه، وتقول كيت وكيت، ففعل عدو الله عقبة ما أمره به خليله أمية، فأنزل الله ـ عز وجل ـ قوله:

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾(٣).

ويقول الضحاك: لما بصق عقبة فى وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجع بصاقه فى وجهه وشوى وجهه وشفتيه، حتى أثر ذلك فى وجهه وأحرق خديه، فلم يزل أثر ذلك فى وجهه حتى قتل.

وحكى القرطبى عن جماعة منهم ابن عباس وسعيد بن المسيب أن الظالم هنا ـ فى هذه الآيات ـ يراد به عقبة بن أبى معيط، وخليله أمية بن خلف. ا هـ.

لقد عجل الله ـ تبارك وتعالى ـ لهذين الظالمين العقوبة فى

---

(١) من الندم والحسرة.
(٢) الإسلام.
(٣) سورة الفرقان من ٢٧: ٢٩.

الدنيا قبل الآخرة، ولم تمض بضع سنوات من فعلتهما تلك النكراء حتى مكن الله ـ تعالى ـ منهما حبيبه محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأنزل بهما عقاب الله فى الدنيا.. وعض كل واحد منهما أنامله حسرة وعبرة وندما لكن بعد فوات الأوان!! لقد أسر عقبة يوم بدر فأمر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليا أن يقتله دون الأسرى جميعا، فقال عقبة: أأقتل دونهم..؟؟، فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «نعم: بكفرك وعتوك» فقال: من للصبية؟ فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «النار»..!.. أما أمية فقتله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .. وكان ذلك من دلائل النبوة..!

٥ ـ عرض يرفضه القرآن الكريم ويرده..!

يروى ابن هشام عن ابن إسحق: أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يطوف بالكعبة، فاعترضه الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى، والوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، والعاص بن وائل السهمى، وكانوا ذوى أسنان فى قومهم، فقالوا: يامحمد.. هلم فلنعبد ماتعبد، وتعبد ما نعبد، فنشترك نحن وأنت فى الأمر، فإن كان الذى تعبد خيرا مما نعبد، كنا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيرا مما تعبد، كنت قد أخذت بحظك منه، فأنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ فيهم:

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾.(١)

أى.. إن كنتم لا تعبدون الله، المعبود بحق ـ سبحانه وتعالى.. إلا أن أعبد ما تعبدون من آلهة زائفة باطلة، فلا حاجة لى بذلك منكم.. لكم دينكم جميعا، ولى دينى..!

٦ ـ حجة ساقطة.. ورد مفحم..!

كان المشركون ينكرون البعث بعد الموت، ويقولون ما سجله القرآن الكريم على ألسنتهم: ﴿ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾(٢).

وحينما أعلن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن هناك بعثا ونشورا، وحسابا، وثوابا وعقابا، ثم جنة ونارا ـ عجبوا لذلك وأنكروه، بل وحاربوه حربا لا هوادة فيها.

وذات يوم مشى أبى بن خلف ـ عليه لعنة الله ـ إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعظم بال، قد تكسر وتفتت، فقال له: يامحمد.. أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم..؟؟ ثم فته فى يده، ثم نفخه فى الريح نحو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ..!

---

(١) سورة الكافرون.

(٢) سورة الجاثية: ٢٤

فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **ـنعم..! أنا أقول ذلك.. يبعثه الله ـ تعالي ـ وإياك بعد ما تكونان هكذا، ثم يدخلك الله النار..!**

ومضى المغرور وظن أنه أقام الدليل القاطع على عدم إمكان البعث، وأنه بهذا الدليل المادى أفحم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يكد ينتهى ذلك الحوار حتى نزل جبريل بآيات من الله ـ سبحانه وتعالى ـ تبطل حجة أبىٍّ الواهية الساقطة، وتقيم أكثر من دليل مادى ملموس محسوس على إمكان البعث، وأنه سهل يسير على مَن أنشأ هذا الكون وما فيه من العدم.. والآيات الكريمة هى قوله ـ عز وجل ـ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(١).

(١) سورة يس، من ٧٧ ـ ٨٣.

٧ ـ أبو جهل.. والهول الذى رآه:

كان أبو جهل ـ عليه لعنة الله ـ من أشد الناس على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكلما رآه يصلى فى المسجد الحرام نهاه عن الصلاة فيه.. ثم قال ـ لعنه الله ـ : لو رأيت محمدا ساجدا لوطئت عنقه، فجاءه وهو ساجد وحاول أن يطأه كما قال.. لكنه نكص على عقبيه، فقيل له: مالك..؟؟، فقال: رأيت بينى وبينه خندقا من نار، وهولا، وأجنحة(١)..!

فأنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ قوله: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾(٢).

والمعنى ـ والله أعلم ـ كما رواه القرطبى عن الفراء إذ يقول: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾ وهو على الهدى وأمر بالتقوى، والناهى متولٍّ عن الذكر.. أى: فما

---

(١) ابن هشام

(٢) سورة العلق من٩ : ١٦.

أعجب هذا..؟!، ثم يقول: ويله..! ألم يعلم أبو جهل بأن الله يراه ويعلم فعله..؟، فهو تقرير وتوبيخ.

ويروى الترمذى بسند ينتهى إلى ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال: مرَّ أبوجهل على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يصلى عند المقام، فقال: ألم أنهك عن هذا يامحمد..؟! فأغلظ له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال أبو جهل: بأى شئ تهددنى يامحمد..؟ والله إنى لأكبر أهل الوادى هذا ناديا، فأنزل الله ـ عز وجل ـ: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾(١).. قال ابن عباس: والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية العذاب من ساعته.

قال ابن إسحق: إن أباجهل ـ لعنه الله ـ قال: يامعشر قريش.. إن محمدا قد أبى إلا ماترون من عيب ديننا وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا، وإنى أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله، فإذا سجد فى صلاته فضخت به رأسه، فأسلمونى عند ذلك أو امنعونى، فليصنع بعد ذلك بنوعبد مناف ما بدا لهم، قالوا: والله ما نسلمك لشئ أبدا فامض لما تريد.

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرا كما وصف، ثم جلس

(١) سورة العلق ١٧، ١٨.

لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينتظره، وغدا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما كان يغدو، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمكة وقبلته إلى الشام، فكان إذا صلى صلى بين الركن اليمانى والحجر الأسود، وجعل الكعبة بينه وبين الشام، فقام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلى وقد غدت قريش فجلسوا فى أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع منهزما منتقعا[1] لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره، حتى قذف الحجر من يده.. وقامت إليه قريش، فقالوا له: مالك يا أبا الحكم..؟ قال: قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الإبل.. لا والله مارأيت مثل هامته ولا مثل قصَرته[2]، ولا أنيابا لفحل قط، فهمَّ بى أن يأكلنى..!

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **«ذلك جبريل ـ عليه السلام ـ لو دنا لأخذه»**.

***

٨ ـ سوء أدب وتطاول:

كان خباب بن الأرت.. ـ رضى الله عنه ـ صاحب

(١) أى: متغيرا.
(٢) أصل العنق.

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قَيْنًا[1] بمكة يعمل السيوف.. وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفا عملها له، حتى إذا كان له عليه مال فجاء يتقاضاه، فقال له: ياخباب.. أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذى أنت على دينه أن فى الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم..؟ قال خباب: بلى، قال: فأنظرني إلى يوم القيامة ياخباب حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيك هنالك حقك، فوالله لاتكون أنت وأصحابك، ياخباب آثَرَ عند الله منى، ولا أعظم حظا فى ذلك[2].. فأنزل الله ـ تعالى ـ فيه:

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾[3].

---

(١) الحداد.

(٢) سيرة ابن إسحق.

(٣) سورة مريم، من ٧٧ ـ ٨٠.